

الدرس : 29 - سورة الأنفال - تفسير الآية 72 ، الإيمان عدة مراتب فيجب على المؤمن اتباع هذه المراتب حتى يصل إلى أعلاها



2010-02-19 📅

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارض عنا وعنهم يا رب العالمين ، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

الإيمان مرتبة علمية وأخلاقية وجمالية :

أيها الإخوة الأكارم ؛ مع الدرس التاسع والعشرين من دروس سورة الأنفال ، ومع الآية الثانية والسبعين وهي قوله تعالى :



﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَتَصَرَّوْا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿72﴾﴾

أيها الإخوة الكرام؛ ما من آية في القرآن الكريم يحتاجها المسلمون اليوم كهذه الآية.

بادئ ذي بدء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الإيمان مرتبة، مرتبة علمية، أخلاقية، جمالية، ذلك لأن المؤمن عرف الحقيقة العظمى، عرف الله جل جلاله، عرفه خالقاً، ومربياً، ومسيراً، عرفه موجوداً، وواحداً، وكاملاً، عرف أسماءه الحسنى، وصفاته الفضلى، معرفة الله أصل الدين، إنك إن عرفت الله عرفت كل شيء، وإن فانتك معرفة الله فانتك كل شيء.

ابن آدم اطلبني تجدني، فإذا وجدتنى وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء.

المؤمن يعرف سر وجوده وغاية وجوده:



لذلك كلمة ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي هذا الإنسان عرف سر وجوده، عرف غاية وجوده،

عرف منهج الله

في الأرض، عرف أن الدنيا ممر، وليست مقراً، عرف أن الدنيا دار عمل، وليست دار أمل، عرف أن الدنيا دار تكليف، وليست دار تشريف، عرف أن الدنيا دار آفة، وأن الدنيا مزرعة الآخرة، وأن الدنيا سبب دخول الجنة، حينما يدخل المؤمنون الجنة:

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدُّهُ وَأَوْثَقْنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَبِعَمِّ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿74﴾﴾

[سورة الزمر]

أي جننا إلى الدنيا، وتعرفنا إلى ربنا، وعبدنا ربنا، وتقربنا إليه بالعمل الصالح، فكان هذا العمل بشقيه الاعتقادي والسلوكي سبب دخول الجنة.

فكلمة ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، للتقريب والفرق من الأرض إلى السماء، للتقريب، لأن المجتمعات المدنية إذا قلت: دكتور، أي بالحد الأدنى يحمل ابتدائية، إعدادية، ثانوية، لسانس، دبلوم عام، دبلوم خاص، ماجستير، دكتوراه، بالحد الأدنى.

أي كلمة ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أنت قد عرفت الله خالقاً، مربياً، مسيراً، موجوداً، واحداً، كاملاً، عرفت أسماءه الحسنى، عرفت صفاته الفضلى، عرفت أن الدنيا مزرعة الآخرة، أن الدنيا ممر وليست مقراً.

إدعاء الإيمان شيء سهل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ السؤال: كل إنسان يتوهم أنه مؤمن، نسأله: متى آمنت؟ متى تفكرت في خلق السموات والأرض؟ متى قرأت القرآن؟ متى فهمته، فهمت تفسيره؟ متى قرأت السنة؟ متى اطلعت عليها؟ فهمت فحواها؟ متى درست أحكام الفقه؟ متى عرفت تاريخ الإسلام؟ تاريخ الصحابة الكرام؟ متى؟



كل إنسان ما بذل ولا جهد، ولا تجشم حضور درس، ولا تجشم قراءة كتاب، ولا متابعة موضوع

علمي، يقول لك: أنا مؤمن، وإيماني أقوى من إيمانك، وأنا إيماني بقلبي، وهو غارق بالمعاصي والآثام.

إدعاء الإيمان سهل، لكن سبحانه يارب! لا يستطيع إنسان أن يقول: أنا طبيب، ولو قال: طبيب، ووضع لوحة على باب داره، يعاقب أشد العقاب، الطب يحتاج إلى شروط، طبيب أي معه ابتدائي، إعدادي، ثانوي، دخل كلية الطب، درس علوم عامة، درس علم التشريح، علم الفيزيولوجيا، علم الأمراض، علم الأدوية، بعد دراسة سبع سنوات يعطى إجازة في الطب، لا تقدم ولا تؤخر، يعمل دبلوم عامة، ودبلوم خاصة، وماجستير، ودكتوراه من بلده، معه دكتوراه بالطب لا تقدم ولا تؤخر، إذا لم يذهب لبلد بعيد وجاء بالبوردة لا يستطيع أن يكتسب من حرفته، قال لك: أنا طبيب، كلمة طبيب للتقريب كل هذه الشهادات، طبيب معي بوردة، أي درس ببلاد بعيدة، ودرس سبع سنوات فوق الثلاثة والثلاثين يأتي بالأربعين، حتى يقول: أنا معي بوردة يحتاج إلى أربعين سنة، هذا الواقع.

كلمة مؤمن أكبر بكثير، مؤمن أي عرف الله، عرف سر وجوده، عرف غاية وجوده، عرف لماذا هو في الدنيا، عرف ما يصلح له في الدنيا.

الإيمان إن لم ترافقه حركة لا قيمة له :

لذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآن أنت آمنت، أي إيمان لا ترافقه حركة لا قيمة له.

إنسان على وشك أن يموت عطشاً، قال له آخر: في هذا المكان نبع ماء، لم يتحرك، ولم يتوجه إليه، ولم يشرب منه، ومات، هذا يموت مع حسرة، لأنه عرف وانحرف،



﴿هُدًى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)﴾

[سورة الفاتحة]

من هم المغضوب عليهم؟ الذين عرفوا وانحرفوا، وأي مسلم يعرف سر وجوده، وغاية وجوده، ويعرف الآخرة، ولا يتحرك، والله لا من باب التشاوم، ولكن من باب الحقائق المرة، ترى الناس يتوهمون أنهم مؤمنون بالآخرة، ولو آمنوا بالآخرة ما اغتصبوا بيتاً، ولا أكلوا درهماً حراماً، ولا اعتدوا على الآخرين، لا على أموالهم، ولا على أعراضهم، تجد في قصر العدل سبع مئة ألف دعوى، عدوان، هؤلاء الذين يتقاضون في قصر العدل يصلون، ويصومون، ويحجون، ويزكون، فكيف أكل بعضهم أموال بعض؟

الإيمان الشكلي بالآخرة لا قيمة له إطلاقاً :

إذا الإيمان بالآخرة، الشكلي، اللفظي لا قيمة له إطلاقاً، أحياناً تأتيك رسالة من دائرة البريد: تعال استلم رسالة مسجلة غداً الساعة العاشرة، لا تتحرك فيك شعرة، وقد تذهب،



شيئاً! مثلاً، تعرف من هو الثاني، ماذا يملك الثاني من سلطة عليك، قد تدخل ولا تخرج، لو عرفنا ربنا كما يعرف بعضنا بعضاً لحلت مشكلاتنا، إله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ

رَحِيمٌ (12)﴾

[سورة الحجرات]

سهرة كلها غيبة ، إله يقول :

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْأُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (188)﴾

[سورة البقرة]

لذلك أنا أقول دائماً أيها الأخوة : إذا عرفت الأمر ثم عرفت الأمر تفانيت في معرفة طاعة الأمر ، أما إذا عرفت الأمر ولم تعرف الأمر تفننت في التفلت من أمره ، وهذا حال المسلمين اليوم .

﴿إِنَّ الدِّينَ أَمْنٌ﴾ متى أمنت ؟ أي درس حضرته ؟ أي تفسير قرأته ؟ أي كتاب حديث اقتنيت ؟ أي مجلس علم داومت عليه ؟ هذه ، هناك إنسان يستطيع أن يقول : أنا معي شهادة ثانوية ولم ينتسب لأي مدرسة ؟ يستطيع أن يقولها ؟ هذا النظام المدني ، هل يستطيع أن يقول : أنا معي لسانس ولم أدخل الجامعة ؟ طبعاً لا ، يقطعون رقبتهم ، أما الإيمان كلاً مشاع :

كلُّ يدعي وصلاً بليلى

المؤمن إنسان مستقيم ومنضبط بمنهج الله عز وجل :

أيها الإخوة ، إذا قال الله عز وجل : **﴿إِنَّ الدِّينَ أَمْنٌ﴾** أي عرفوا الله ، عرفوه خالفاً ، مريباً ، مسيراً ، عرفوه واحداً وكاملاً ، عرفوا أسماءه الحسنى ، أي مطالعة أسماء الحسنى صوتاً أو نصاً جزء من إيمانك ، عرفوا صفاته الفضلى ، عرفوا الدار الآخرة .



أنت لو سافرت لبلد مجاور في أثناء الذهاب وجدت تفتيشاً غير معقول ، لا يمكن إلا أن يفتشوا كل شيء

المؤمن إنسان مستقيم ومنضبط بمنهج الله عز وجل

معك ، سافرت إلى هناك والعودة في اليوم الثاني ، هل تشتري حاجة رأيت بعينك كيف تحاسب ؟ مستحيل !

لو تعاملت مع الله كما تتعامل مع الأقوياء في الدنيا تستقيم على أمر الله ، لذلك قال تعالى :

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ - دقق - **﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾** (12)

[سورة الطلاق]

أنت حينما توفرن أن علمه يطولك .

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (19)

[سورة غافر]

مثل دقيق جداً : طبيب مسلم يفحص امرأة ، سمح الشرع له أن ينظر من جسمها إلى موضع المرض ، فاختلس نظرة إلى مكان آخر ،

هل في الأرض كلها جهة بإمكانها أن تضبطه بهذه المخالفة ؟ **﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾**



يجب أن تعلم أن علم الله يطولك وقدرته تطولك

﴿علمه يطولك ، علم ما كان ، و علم ما يكون ، و علم ما سيكون ، و علم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون .

﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ علمه بطولك ، وقدرته تطولك ، لو أن إنساناً قوياً علمه بطولك وقدرته تطولك لا يمكن أن تعصيه .
 أسأل إخواننا التجار المستوردين بالذات ، حينما تستورد بضاعة تذهب نسخة من إجازة الاستيراد إلى المالية ، فإذا أغفلت هذه البضاعة في حساباتك أهدرت كل حساباتك ، أنا لا أتصور تاجراً بالأرض يخفي عن الماليين صفقة ، لماذا ؟ لأن المالية تعلم من خلال النظام نظام الاستيراد ، فأنت مع إنسان تنضبط ، ومع خالق الأكوان لا تنضبط ؟ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ مؤمن أي مستقيم .

الإيمان الذي لا يحملك على طاعة الله لا تستطيع أن تقطف ثماره :

لذلك اسمحو الي بهذا المثل : دائرة كبيرة كل من قال : هناك إله لهذا الكون ضمن الدائرة ، وقدير تكب الكبار ، لكن هذا الإيمان كإيمان إبليس لا يقدم ولا يؤخر ولا ينفع ، قال :

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82)﴾

[سورةص]

إبليس ، قال :

﴿قَالَ مَا مَنَّكَ عَلَىٰ أَن تَسْجُدَ لِمَا أَمَرَكَ قَالَ إِنَّا أَنَا خَيْرٌ مِّمَّا خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (12)﴾

[سورةالأعراف]

آمن به خالفاً ، ربي

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82)﴾

[سورةص]

آمن به رباً وعزيراً .

﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (14)﴾

[سورةالأعراف]

آمن بالأخرة ، ومع ذلك هو إبليس ، فالإيمان الذي لا يترجم إلى سلوك ، لا يترجم إلى التزام ، لا يترجم إلى مواقف ، لا يترجم إلى حركة باتجاه الخير ، لا يترجم إلى أن يراك



حيث أمرك ، ويفتقدك حيث نهاك ،

لا قيمة له إطلاقاً ، لا تقل : الحمد لله على الإيمان ، أي إيمان ؟ لم

الإيمان الذي لا يترجم إلى سلوك والتزام لا قيمة له إطلاقاً

تطبيق بالإسلام شيئاً ، صدق ولا أبالغ وهذه حقيقة مرة ، وهي أفضل ألف مرة من الوهم المريح ، الإيمان الذي لا يحملك على طاعة الله لا تستطيع أن تقطف ثماره إطلاقاً .
 لذلك هذه الدائرة الكبيرة كل من قال : أنا مؤمن ، والله موجود ، ضمن الدائرة ، لكن إن لم يطبق منهج الله دخلنا بدائرة ثانية ضمنها ، ضمن الدائرة الثانية كل إنسان آمن بالله ، واستقام على أمره صار بالدائرة الثانية ، الآن إنسان خارج الدائرة الكبيرة ، الملحد ، وهناك إنسان ضمن الدائرة الكبيرة ، من قال : الله موجود ، لكن لم يطعه ، وهناك إنسان ضمن الدائرة الداخلية ، هذا الذي آمن بالله ، واستقام على أمره ، ولعل مركز هذه الدائرة الأنبياء ، هؤلاء المعصومون ، يوجد دائرة هناك أشخاص خارج الدائرة ، داخل الدائرة الكبيرة ، داخل الصغيرة ، في المركز ، في المركز النبوات .

على كل إنسان أن يوقع حركته وفق منهج الله عز وجل :

أيها الإخوة الكرام ، الآية الكريمة : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا﴾ هاجروا تعني الحركة ، مطلق الحركة ، أي يكتسب رزقاً من حرفة لا ترضي الله ، لا بد من بحث عن حرفة أخرى ، حركة ، يقيم في مكان لا يستطيع أن يطيع الله فيه ، فتركه لكان يطيع الله فيه ، افهم هنا الهجرة حركة ،

تحرك ، انتقل من مكان إلى مكان ، من مجموعة أصدقاء إلى مجموعة مؤمنين ، من مكان يصعب أن



يطيع الله فيه إلى مكان يستطيع أن يطيع الله فيه .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا ﴾ الهجرة هنا الحركة التي تجسد الإيمان ، ﴿ وَجَاهَدُوا ﴾ الجهاد هنا بذل الجهد لأن الشرع سمي بالتكاليف ، والتكاليف تعني أن الأخذ بها يحتاج إلى كلفة ، إلى جهد ، أي سهل إطلاق البصر ، لكن غضن البصر يحتاج إلى جهد ، سهل أن تبقى نائماً حتى الساعة العاشرة لكن الاستيقاظ على صلاة الفجر يحتاج إلى جهد ، سهل أن تتحدث عن كل شيء ، غيبة ، نميمة ، بهتان ، كذب ، سخريه ، استخفاف ، مزاح رخيص ، سهل ، أما ضبط اللسان فيحتاج إلى جهد ، فضبط اللسان ، ضبط العين ، ضبط



الأذن ، هناك أشياء لا ترضي الله ، ضبط اليد ، ضبط الحركة ، هناك مكان لا يرضي الله ، معنى

جاهدوا أي أوقعوا حركتهم وفق منهج الله ، هذا الجهاد ، الله عز وجل أودع فينا الشهوات ، أي بالشهوات يمكن أن تتحرك مئة وثمانين درجة ، لكن مسموح لك بمئة درجة ، فالجهاد أن توقع حركتك نحو المرأة ضمن مئة درجة ، هناك زواج ، هناك محارم ، علاقة المؤمن بالمرأة علاقة زواج ، أو محارم ، لكن لا يوجد في الإسلام خلية إطلاقاً ، ولا عشيقه ، ولا صديقة حميمة ، لا يوجد ، هناك حيز مسموح به ، وحيز محرم . يكسب المال ، الربا ، التجارة ، الإرث ، لكن لا يوجد بالإسلام سرقة ، ولا نهب ، ولا غش ، ولا تدليس ، فحركتك في العلاقة بالمرأة مضبوطة بالشرع ، وحركتك في علاقتك بكسب المال مضبوطة بالشرع ، هذا معنى جاهدوا ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا ﴾ .

الهجرة تحتاج إلى جهد وإرادة قوية وتجتشم مصاعب :



إخواننا الكرام ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا ﴾ بالمعنى الواسع :

((عن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : وإنَّ العبادة في الهُجْر كهجرة إلي .))

[مسلم والترمذي]

((حدثنا أبو نعيم حدثنا زكريا عن عامر قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول : قال النبي صلى الله عليه وسلم المسلم : من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من

هجر ما نهى الله عنه .))

صديق منحرف تركه من الهجرة عمل لا يرضي الله، تركه من الهجرة، علاقة لا ترضي الله تركها من الهجرة، بلد لا يرضي الله تركه من الهجرة، مطلق الحركة .
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا﴾ هناك جهد، هناك إرادة قوية، هناك تجشم مصاعب .

((عن عبد الله بن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ لَهُ وَقَاهُ اللَّهُ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ ، إِلَّا إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وَفَى الْفَتْنَ ، وَمَا مِنْ جَرِّ عَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ جَرِّ عَةٍ غِيظَ بِكُظْمِهَا عَيْدًا مَا كُظِمَتْهَا عَيْدًا لِلَّهِ إِلَّا مَا جُوفَهُ إِيْمَانًا .))

[ابن كثير المصدر تفسير القرآن العظيم، حديث حسن، أخرجه أحمد والبيهقي، وابن أبي الدنيا في اصطلاح المعروف]

الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق :

﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ﴾ بذل ماله في سبيل الله، بذل ماله ليتعلم، بذل ماله ليتقرب إلى الله، حبذا المال أصون به عرضي، وأتقرب به إلى ربي .
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ﴾، وفي الجهاد ﴿وَأَنْفُسَهُمْ﴾ جاهد بماله، وبنفسه .



في كل آيات القرآن الكريم المتعلقة بالجهاد قدم الله جهاد المال على جهاد النفس، لأن بذل المال أهون،

في كل آيات القرآن المتعلقة بالجهاد قدم الله جهاد المال على جهاد النفس

الله بدأ بالأهون، بذل المال أهون من بذل النفس إلا في آية واحدة :

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي النَّوْرِاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنُبِيِّكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (111)﴾

[سورة التوبة]

الله بدأ بالأهم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ﴾ طبعاً أنفق من ماله الزكاة، أنفق من ماله الصدقة، أنفق من ماله مبلغاً لإنشاء ميثم، لإنشاء مستوصف، لإنشاء مستشفى، لإنشاء معهد شرعي، لإنشاء جمعية خيرية، لإطعام الأيتام، لإطعام الفقراء، الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق .

سمعت عن إنسان يريد أن يفعل شيئاً له قيمة، هو إفريقي، قال لي: في نيجيريا مئة وتسعون مليون



الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق

مسلم، فقراء جداً، ماذا يفعلون؟ يرسلون أولادهم للتسول، هو فكرته أن يعطي الأب بدل الدولار الواحد الذي يجمعه ابنه من التسول خمسة دولارات، أعطنا ابنك لنعلمه، نعلمه الدين، نعلمه حرفة، نعلمه شهادة، يصبح مهندساً أو طبيباً، هذا عمل عظيم.
وأنا أقول لكم أيها الأخوة: أي محسن فكر بطالب متفوق ينفق عليه لياخذ أعلى شهادة يكون قد خدم الأمة، الأمة تحتاج إلى علماء، أي محسن فكر بإرسال طلاب إلى جامعات عريقة في العالم لياتوا باختصاصات مفيدة جداً للأمة هذا قدم صدقة جارية، وهذا أنا أراه الآن من أعلى مستويات الإحسان .

الكم القليل من العلماء سبب تخلف الدول النامية :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ هناك حقيقة مرة سأقولها لكم: تم قتل ثلاثة آلاف وثمانمئة عالم بالعراق، أي عالم، مسلم، غير مسلم، سني، شيوعي،



مسيحي، يجب أن يبقى هذا الشعب قطيعاً، من يقود الأمة؟

العلماء، الأمة بعلمائها، لا أقصد علماء

الكم القليل من العلماء سبب تخلف الدول التامية

الدين فقط، لا، علماء، خبراء اقتصاد، خبراء حقوق، خبراء بالتجارة، خبراء بالصناعة، الأمة بعلمائها، العالم الغربي سبب تفوقه الكم الكبير من العلماء، والعالم المتخلف سبب تخلفه الكم القليل من العلماء .

وحيثما كنت في الجزائر، فرنسا حينما دخلت إلى الجزائر نسب المتعلمين تقترب من سبعين بالمئة فلما خرجت كانت نسبة المتعلمين عشرة بالمئة، فدائماً الدول التي تستعمر تناهض العلم، فأنا أقول: من أعظم الأعمال الآن طالب متفوق، عنده ملامح تفوق، هذا أن تنفق عليه لينال دكتوراه في اختصاص . كنت مرة في جائزة قرآن كريم في بلد خليجي، اقترحت على المسؤولين نحن نعطي الطالب الحافظ مليون ليرة، لا، تعطيه منحة دكتوراه، كل إنسان حفظ كتاب الله صار عالماً، أي إنسان حفظ كتاب الله ينال منحة دكتوراه حتى نهاية الدراسة، هذا عطاء، أما المليون فيأخذهم والده منه ذهبوا .

حجم الإنسان عند ربه بحجم عمله الصالح :

يا إخوان، موضوع العمل الصالح، الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق، والله هناك أعمال صالحة لا تعد ولا تحصى .



مرة التقيت بأخ- توفي رحمه الله - قال لي : تجد فتاة صالحة جداً، تقيّة، حافظة كتاب الله، ما أتيح لها

أن تتزوج، قال لي : هؤلاء الفتيات الصالحات خطر في باله مشروع أن يعمر بناية صغيرة، وكل بنت حافظة لكتاب الله يكتب لها بيتاً، صار هناك عرض خاص، صارت البنت مرغوبة لأنها معها بيتاً، مرغوبة جداً، وفعالاً فعلها، وكلهن تزوجن .

أنواع العمل الصالح لا تعد ولا تحصى، لذلك تقرب إلى الله بعمل صالح، أنا علقت تعليقاً من يومين : تجد أخاً يحضر دروساً بالمسجد من خمس وثلاثين سنة، ومع ذلك ما قدم شيئاً، ما تحرك حركة، ما تكلم كلمة، أنا لا أريد هذا، الإنسان يتعلم بعد ذلك يعلم، يتلقى بعد ذلك يلقي، يُخدم بعد ذلك يخدم، هل من المعقول إنسان ليس له عمل فقط حضور الدروس؟ والله من دون عمل لا تقدم ولا تؤخر، حجمك عند الله بحجم عملك الصالح ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا﴾ ..

العلاقة بين المؤمنين أمتن علاقة في المجتمع البشري :

أحياناً يأتي طالب علم من بلد فقير، يعيش حياة صعبة جداً، والله هناك أسر بالشام أنا أنتي عليها، تحتويه، تعطيه غرفة مفروشة،



هناك أناس يتهافتون على الإنفاق على طلاب العلم ، هذا طالب علم ، هذا الذي أوى طلاب العلم ،

إذا ربطنا الإيمان بالعمل الصالح عندها نستطيع قطف ثمار الدين

ونصرهم ، أكرمهم ، أطعمهم ، مرة دعاني أحد طلاب العلم الأفارقة إلى بيته ، الوقت شتاء ، والبرد قارس ، لا يوجد عنده مدفأة ، ولا سجادة ، لا يوجد بيت بالشام إلا وعنده حاجات ليس بحاجة إليها ، منزع من وجودها ، فكر إذا عندك حاجات لا تستخدمها هناك طلاب علم ، أحياناً سرير ، سجادة ، مدفأة ، أريكة ، شيء ثمين جداً ، تحرك حركة ، قدم شيئاً ، قدم حاجة ، قدم قطعة أثاث ، قدم مبلغاً من المال ، قدم محاضرة ، قدم كتاباً ، قدم دعوة ، قدم إكراماً ، قدم مالا ، من دون عمل الإيمان وحده لا تقطف ثماره ، الآية واضحة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا ﴾ أحياناً مثلاً يأتي أخ من حلب ، هناك أخ يدعو على العشاء ،



والله هذا عمل عظيم ، وجد نفسه محبوباً ، جاء من حلب ، ثلاثمئة وستون كيلو متراً يسمع درس

العلاقة بين المؤمنين هي أمتن علاقة في المجتمع البشري

الجمعة ، اذهب إلى الفندق وتعشى هناك ، لا ، خذ إلى البيت وقدم له الطعام ، يطمئن ، ويحس أن هناك علاقة أخوة كبيرة جداً ، هذه معنى : ﴿ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ العلاقة بين المؤمنين هي أمتن علاقة في المجتمع البشري .
﴿ أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ أنت وليه ، تنصحه ، ترشده ، تدعوه ، تكرمه ، تعينه ، وهو ينصحك ، ويرشدك ، ويكرمك ، ويعينك ، هذا معنى : ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ : عن أنس بن مالك : المؤمنون بعضهم لبعض نصحة وأدب ، وإن بعدت منازلهم وأبدانهم ، والفجرة بعضهم لبعض غششة متخاونون ؛ وإن اقتربت منازلهم وأبدانهم .
﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ .

حجم الإنسان عند الله بحجم بذله وتضحيته :

الآن هناك حالة ثانية ، مؤمن لكن لا يتحرك ، ولا يقدم ، ولا يؤخر ، ولا يدفع ، ولا يلقي كلمة ، ولا يأمر بالمعروف ، يقول لك : الناس لا يُخدمون ، هذه آية أم حديث ؟ هذا كلام الشيطان ، سلامتك يا راسي ، والله هناك مصطلحات جاءتتنا من العصور الوسطى والله هي الكفر بعينه ، امش بجنزة ولا تمش بزواج ، من قال لك هذا الكلام ؟ عن أبي رهم ، قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مِنْ أَفْضَلِ الشَّقَاعَةِ ، أَنْ يُشَفَّعَ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ فِي النَّكَاحِ))

[أخرجه ابن ماجه في سننه وسنده ضعيف]

يا أخي ساهم في تزويج شباب وفتاة ، فتاة مؤمنة ، طاهرة ، حافظة كتاب الله ، عاونها ، دل عليها ، يقول



حجم الإنسان عند الله بحجم بذله وتضحيته

: لا دخل لي ، حتى لا يأتيه وجع رأس ، يأتيك وجع رأس ، لم لا ؟

بالمناسبة أحياناً يمكنني الله عز وجل من أن أزوج شاباً مع شابة ، يغيب خمس سنوات ولا تسمع أية كلمة عنه ، وعندما يتشاجر مع زوجته يأتي لعندك ، يا أخي عندما كنت مسروراً منها لماذا لم تأت وتشكرني ؟ عندما يتشاجر معها يأتي لعندك ، **(مِنْ أَفْضَلِ الشَّفَاعَةِ ، أَنْ يُشَفَّعَ بَيْنَ الْإِثْمَيْنِ فِي النَّكَاحِ)** ، ليس لك عمل صالح ؟ **(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا)** ليس مستعداً لأن يتحرك ، يقول لك : هكذا أفضل ، تكلفه يعمل ينسحب بانتظام ، تكلفه بمهمة يعتذر منها ، تطلب منه أن يأتي إلى الدرس يأتي ، لأن هذه لا تكلفه شيئاً . **(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا)** أي حرمك عند الله بحجم التزامك ، حرمك عند الله بحجم عملك الصالح ، حرمك عند الله بحجم بذلك ، وتضحيتك ، هذا الحجم : **(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنَّصَرْتُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)** ..

التعاون بين الناس إما على البر والتقوى أو على الإثم والعدوان :

إخواننا الكرام ، هناك مفاجأة كبيرة جداً ، وقد لا ننتبه إليها : **(وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ)** يتعاونون ، يعقدون مؤتمرات ، يبذلون جهوداً جبارة ليكيدوا للمسلمين ، والطرف الآخر يتعاونون ، التعاون إما أن يكون على البر والتقوى ، أو على الإثم والعدوان ، قال تعالى :



(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشُّهُرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَتَتَفَعُونَ فُضُلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرُكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (2))

[سورة المائدة]

الطرف الآخر يتعاون على الإثم والعدوان ، أي يعتدي ، يقصف ، أو يفسد بالأفلام ، كلام دقيق ، **(وَ لَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ)** الإثم انحراف أخلاقي ، والعدوان إيذاء ، **(وَ إِنْ اسْتَنَّصَرْتُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ)** ..

إخواننا الكرام ، هذه الآية كما بدأت بها من أخطر آيات القرآن الكريم ، ولا أتصور أن آية المسلمون في أشد الحاجة إليها كهذه الآية ، لكن فيها عقدة ، وفيها حل ، هذا في الدرس القادم إن شاء الله .

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، أثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .